ابدى السوفيات استعدادهم، في البداية، للسماح بهجرة ٦٠ الف يهودي سنوياً[٢]. وقد وجد الصهيونيون في هذه الاستجابة فرصة ذهبية للتغنّي بنضال يهود الاتحاد السوفياتي. وكتب الباحث الصهيوني شموئيل اتنغر في هذا الصدد: «... ممّا لا شك فيه ان هناك سببين جعلا السلطة في روسيا تسمح بهجرة اليهود: الأول، هو نضال يهود روسيا أنفسهم؛ والثاني هو رغبة روسيا في الوصول الى تسوية مع الولايات المتحدة الاميركية. فقد خشيت من ان تكون المسألة اليهودية حجر عثرة على طريق سياساتها مع أميركا، وهذا ما جعلها توافق على هجرة ٦٠ الف يهودي خلال العامين ١٩٧٢ و١٩٧٣ الى اسرائيل...»[٣].

جاءت أزمة «تعديل جاكسون» (للاتفاقية التجارية الأميركية ـ السوفياتية المقرّر ابرامها) لتقف عائقاً في وجه تدفّق اليهود السوفيات. وهذه النقطة تستحق الوقوف عندها بايجاز. ففي العام ١٩٧٤، وبعد ان تمّ التوصل بين الحكومتين، السوفياتية والأميركية، الى اتفاقية تجارية، اقترح السيناتوران، جاكسون وفانيل، تحت تأثير الدوافع الصهيونية، اجراء تعديل على قانون التجارة الأميركية يحظر منح وضع «الدولة الأكثر رعاية» للاتحاد السوفياتي ـ المقرر بموجب الاتفاقية المذكورة ـ ما لم تقدّم الحكومة السوفياتية تأكيدات انها ستسهّل هجرة اليهود السوفيات الراغبين في ذلك. ونجح التعديل، وأُصدر قانون التجارة لعام ١٩٧٤ متضمّناً التعديل المذكور.

كان من الواضح ان قبول السوفيات بهذا التعديل يعني قبولهم للاهانة المتعمّدة؛ وبالتالي، كان من الطبيعي ان يرفض الاتحاد السوفياتي، كدولة عظمى، مثل هذه الاهانة. والغت الحكومة السوفياتية، من جانبها، بالفعل، الاتفاقية المذكورة، في ١٩٧٥/١/١٦، بعد ان اعتبرت «تعديل جاكسون» بمثابة تدخّل مباشر في شؤون الاتحاد السوفياتي الداخلية.

أعقب هذا الالغاء، بصورة طبيعية، انخفاض واضح في معدلات الهجرة اليهودية من الاتحاد السوفياتي، ولكنها لم تتوقف تماماً. وجاء الاجراء السوفياتي مؤشراً الى ان الحملة الصهيونية ـ الأميركية قد تمادت في غطرستها. بيد ان السوفيات لم يصدّوا باب الهجرة نهائياً، بل تركوه موارباً. وكان هذا الاجراء إشارة الى ان باب البحث في هذا الموضوع لا يزال مفتوحاً. ولم يكن خافياً، آنذاك، ان السوفيات كانوا يتطلعون، بالفعل، الى التوصّل الى صيغة اتفاق (صفقة) مع الولايات المتحدة الاميركية لتحقيق جملة من المصالح الخاصة، مثل صفقات القمح، وتوقيع اتفاقية سالت ـ ٢ التي كانت مدار تفاوض آنذاك، وكذلك الحصول على بعض المعدّات الأميركية المتطوّرة، وبعض اسرار التقنية الأميركية، وبعض الامتيازات التجارية، منها «حق الدولة الأكثر رعاية». ولم تكن الادارة الأميركية غافلة، بالطبع، عن مدى أهمية هذه الامتيازات بالنسبة الى السوفيات، بيد انها أدركت، بعد الغاء الحكومة السوفياتية، من جانبها، للاتفاقية التجارية، انها ذهبت بعيداً في ابتزاز السوفيات، الأمر الذي كان من شأنه ان ينسف سياسة الوفاق، ويهدّد بالعودة الى الحرب الباردة.

بدأ الاسلوب الاميركي، بعد التطوّرات التي أشرنا اليها، بالتغيّر. وانعكس ذلك في حدّة الحملة الاعلامية المضادة للسوفيات التي أخذت تخفت تدريجياً في الصحافة الغربية المحابية للصهيونية.

وبالمقابل، أخذت ارقام الهجرة اليهودية السوفياتية ترتفع عاماً بعد عام. ولعلّ الجدول الاحصائي التالي يعطينا فكرة واضحة عن تزايد تلك الأرقام:

وأعلن السوفيات ان موقفهم من فتح أبواب الهجرة جاء استجابة لنداءات الرأي العام العالمي. كما برّروا ذلك برغبتهم في التخلّص من العناصر اليهودية «المتصهينة»، الراغبة في الهجرة، والتي من شأن استمرار بقائها تشكيل بؤر للتحريض والعمل المعادي!